دور الحديث بالمغرب

بقلم : الأستاذ الحسين وجاج

اعتناء المغاربة بالحديث

لم يكن بالمغرب الإسلامي دور للحديث بالكيفية المعروفة في المشرق، وإن كان اهتمامه بالحديث معروفا في جميع أطواره، ومشهورا في عصور تاريخه، أللهم إلا ما كان من دار الحديث الحسنية التي أنشئت أخيرا في مدينة الرباط.

ولعل ذلك راجع إلى المنافسة المشهورة، والسائدة بين المغاربة والمشارقة منذ القديم وإن شئت قلت المعاكسة التي تجلى أثرها في مختلف الميادين، الشيء الذي جعلهم يهتمون بالحديث ودراسته، دون أن يطلقوا على مؤسساته إسم دور الحديث الذي يطلق على مؤسساته في المشرق.

والعلماء المغاربة السباقون إلى المكرمات، كانوا دائما منذ القديم من أكثر الناس طلبا للحديث وبحثا عن رجاله، فقد تحملوا مشاق الرحلة، واستسهلوا صعاب الغربة، وذرعوا الأرض بأقدامهم في سبيل أخذ الحديث وعلومه، والإحراز على الأسانيد العالية من رجالاتها، والكرع من مناهلها، خدمة منهم لهذا الدين الإسلامي وشريعته الخالدة.

فكما ربط يحي بن يحي الليثي المصمودي المغرب بالمشرق بسلسلة من الذهب كما يقولون أخذ عن الإمام مالك بن أنس كتابه (الوطأ) الذي يعتبر الأصل الأول في

الحديث، والمنشور في الآفاق، بروايته المفضلة، وسنده الذي يعتبر عند المحدثين أصح الأسانيد، فإن الأصل الثاني صحيح البخاري، منتشر كذلك بين الناس برواية عبد الله بن إبراهيم الأصيلي التي نالت إعجاب وتقدير المحدثين في كل مكان.

ولا يقل عن اهتمام المغاربة بهذين الأصلين السابقين اهتمامهم بكتب الحديث الأخرى، ومصنفاته المثلى، فقد عرف عنهم الإقبال الكثير على الأصل الثالث ـ صحيح مسلم ـ والاعتناء المتزايد ببقية كتب الحديث على اختلافها وتنوعها إحاطة منهم بمصادر الهدى النبوي، وحفاظا منهم على تعاليمه، ومدارسة أمهاته، وإقبالا منهم على حفظ متونه وأسانيده حتى لا تذهب الرواية، وينقطع السند، وينمحي أثر العلم بموت أهله.

ونقصد بالمغرب الإسلامي أقطار الأندلس، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريطانيا، والصحراء الإفريقية المسلمة، وغيرها من الأقطار التي استقر فيها الحكم الإسلامي أو عرفته في بعض الفترات من تاريخها مثل صقلية وجنوب إيطاليا، فلم نعثر في كل هذه الأقطار على مؤسسات للحديث من الطراز المعروف في الشرق رغم ما عرف في غالب هذه الأقطار من جهاد متواصل في سبيل نشر السنة، ورفع رايتها خفاقة بين الانام ومن تخريج أفذاذ العلماء والمحدثين الذين تتلمذ لهم كبار المحدثين في بلاد المشرق مثل أبي الخطاب عمر بن دحية، وأخيه أبي عمرو وعثمان وبن عبد الملك القصري، وأبي مروان الباجي، وأبي البركات الكمال المكناسي، وتقي الدين الفاسي، وابن شقر السلاوي وابن خلدون وغيرهم[1].

فمنذ القديم احتضنت بلاد الأندلس فطاحل العلماء والمحدثين، واشتهرت بخدمة السنة ونشر الحديث فتوجهت إليها الأنظار، وأصبحت كعبة القصاد تشد إليها الرحال لرواية الحديث، وأخذ العلوم المختلفة من علمائها الأماجد وحفاظها المبرزين، ويكفيها فخرا أن تنجب بخاري المغرب أبا عمر بن عبد البر الذي يعتبر بحق علما بين المجتهدين ومفخرة من مفاخر المغرب بين المحدثين فهو لم يغادر بلاده قط، وإنما

1) عبد العزبز بن عبد الله : معجم المحدثين بالمغرب الأقصى ص 7.

تنقل في أرجائها واستفاد من فطاحلها حتى كان أعجوبة الزمان،ومنارا يهتدي به في كل مكان.

وإلقاء نظرة أولى حول شيوخ ابن عبد البر وحده يدلك على أنها تزخر بالمحدثين ورجال العلم والصلاح، عبر القرون، ففي القرن الرابع مثلا، وهو قرن شيوخه نجد هناك من المحدثين ما يؤكد على أن بلاد الأندلس تطاول مصر وبغداد ودمشق وأصبهان ونيسابور في خدمة الحديث الشريف ونشر الوعي الإسلامي في النفوس[2].

وما أكثر الحفاظ الموجودين في الأندلس قبل ابن عبد البر وبعده، فهم منتشرون في مختلف مراكزها العلمية مثل قرطبة، وبلنسية وأشبيلية وغرناطة، وميورقة، ومرسية ومالقة وغيرها من مدنها الزاخرة بالجمال. والطافحة بالإيمان، والحافلة بالعلم والعرفان.

ومن حفاظها سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري الذي روى عنه الأجلة العظام مثل الحافظ الكبيرأبي القاسم ابن عساكر[3]، مؤلف تاريخ دمشق وأول شيخ لدار الحديث النورية، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن خلف الأنصاري المعروف بابن الفخار، والذي طلبه السلطان يعقوب المنصور ليستمع منه بمراكش فمات بها سنة 590 ه[4] وأبي عُبد الله محمد بن يوسف بن سعادة، صاحب الرواية المعتمدة والمفضلة لدى المغاربة[5]، وأبي عمر بن عات المتحن في الحديث ببيت الطلبة بمراكش[6] وابن دحية الكلبي[7] وابن سراقة الشاطبي[8]، وابن سيد الناس الأشبيلي[9]

2) ابن عبد البر : التمهيد ج 1 المقدمة.

3) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، السفر الرابع والخامس ص 18.

4) الذهبي : العبر ج 4 ص 274.

5) أبو الأسعاد : فهرس الفهارس ج 2 ص 367.

6) محمد المنوني : العلوم والآداب في عهد الموحدين ص 21.

7) الذهبي : العبر ج 5 ص 135.

8) السلامي : المنتخب المختار ص 202.

9) الذهبي : العبر ج 5 ص 255.

الـذين هم من شيـوخ دار الحـديث الكاملية بـالقـاهرة وغيرهم من الحفـاظ الأعـلام والمجتهدين الكبار الذين رفعوا راية العلم في الأندلس خاصة، والعالم الإسلامي عـامـة عالية شامخة العرنين.

أما القطر الليبي والتونسي، فقد عرفا مثل الأقطـار الإسلاميـة الأخرى بخـدمـة الحديث الشريف والاهتمام بنشره، والاهتمام بشؤنـه حتى أن بعض المؤرخين ذكروا أن لأهل إفريقيا اعتناء كبيرا بالبخاري، وإن لهم أماكن معلومة، في أيام معدودة لختمه، وإنهم يخصصون لك يوما معلوما في مسجد معلوم، وعنـد شيخ معلوم، فيهرعون إليـه ويوقـدون الشموع ويسرجون القنـادل، ويبخرون المكان بـأنواع الطيب، ويظهرون من آيـات التعظيم والإجـلال الشيء الكثير، حتى أنهم يشتغلـون بـذلـك عن جميـع أشغالهم ويقبلون عليه بكليتهم ويغلقون حوانيتهم، ويشعرون العموم بواسطة المنادي بوقته ومكانه ويومه، فيتسارع الجميع من رجال ونساء وصبيـان إلى الحضور في حفلـه الذي يعتبر أعز شيء عندهم في الوجود[10].

وقـد قـامت القيروان منـذ القـديم بـدور كبير في خـدمـة الحـديث ونشره بين طلاب العلم من أبنائها، ومن النازحين إليها من مختلف الأقطـار وكانت مسـاجـدهـا ونواديها العلمية لاتقل أهمية عن مساجد بغداد والكوفـة، والبصرة، ومصر وغيرهـا من المدن الإسلامية المعروفة بالعلم والعرفان.

وكل ذلـك بفضل الـدور الـذي قـام بـه الرواد الأوائل أمثـال أسـد بن الفرات وسحنون وغيرها من أمثال عبد الرحمـان بن زيـادو عبـد اللـه بن غـانم وابن فروخ، وغيرهم من الذين تحملوا مشاق السفر وأتعـاب الرحلـة إلى الحجـاز والعراق ومصر في سبيل راية الحديث، وأخذ العلوم المختلفة من أصحابها صحيحة سليمة، ثم نقلهـا وبثهـا بين الشباب الإفريقي في المغرب حتى لا يتخلف عن إخوانه الأخرين في المشرق[11].

وبروح القيروان طبعت أقطار المغرب كلها في خدمتها للحديث ونشرها للسنة سواء في مساجدها الجامعة أو زواياها المنبثة في كل مكان، وخاصة جـامع الزيتونـة،

10) ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقية ص 318.

11) مجلة الأقلام : العدد الخامس الصادر في شعبان 1384.

وجامع القرويين وغيرهما من المساجد المشهورة بالحديث، والحافل تاريخها بجلائل الأعمال في هذا الميدان. ولتحقيق رسالتها عمل جميع المحدثين في أقطار المغرب الكبير على اختلاف أعصارهم ورسائلهم حتى ظهر هناك محدثون نبغاء في القرون الأخيرة أمثال أبي العباس المقري وأبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر العلوي وعبد الكريم الفقون القسمنطيني، وأبي مهدى عيسى الثعالبي، ويحي الشاوي، وأبي سالم العياشي، وأبي عبد الله ابن ناصر الدرعي وابن سليمان الروداني،وابن المرابط الدلائي، وعبد المالك التجموعتي وغيرهم من الذين ربطوا المشرق بالمغرب، وخلدوا لنفسهم ولبلادهم الذكر الجميل والثناء العاطر[12].

وعلى منهاجها سار جميع المحدثين والمصلحين من أبناء المغرب مقتفين أثر سلفهم الصالح فعمروا المساجد والمدارس والزوايا بحلق الطلبة لمدارسة كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىأصبح كل مسجد وكل زاوية في بوادي المغرب وحواضره بمثابة دار الحديث[13].

فقد اقتصرت الأندلس وأقطار المغرب في نشر الحديث على المساجد التي تعتبر المعاهد الأولى للعلم في أنحاء العالم الإسلامي، وعلى بعض الزوايا الخاصةالمعروفة بحركتها المباركة في هذا الميدان بالإضافة إلىالجهود التي بذلها ويبذلها العلماء وأولو الأمر باستمرار لخدمة الحديث الشريف ونشره بين الناس.

ولعلني أصادف الصواب إذا اقتصرت في بحثي هذا عن دور الحديث في المغرب على ما قام به المغرب الأقصى في هذا الميدان لما له من سيطرة سياسية على بقية الأقطار الأخرى خلال الفترات والقرون التي ظهرت فيها فكرة دور الحديث في أقطار المشرق على وجه العموم لهذا ارتأيت أن أكتفي بدراسة عصور تاريخه بكيفية مختصرة محاولا التعرف على ما قام به علماؤه وملوكه من أعمال، وما بذلوه من تضحيات وتحملوه من رحلات، في سبيل حفظ الحديث والدفاع عنه وإيصاله إلى

12) أبو الأسعاد : فهرس الفهارس ج 2 ص 448.

13) ابن عبد الله : معجم المحدثين بالمغرب الأقصى ص 8.

الناس في هذا القطر البعيد عن دار السنة الأولى - بالمدينة المنورة - خاليا من شوائب الخطأ وأغلاط التحريف.

عصر الأدارسة

ففي عصر الأدارسة برز محدثون مشهورون بما قاموا به من رحلات، وما بذلوه من جهود في سبيل أخذ الأسانيد العالية والإحراز على الروايات الصحيحة أمثال ابن سعادة الفاسي، ودراس ابن إسماعيل وأبي عمران الفاسي، وأبي محمد وكاك وغيرهم من المحدثين المعروفين بالحفظ الكثير والعلم الغزير[14].

عصر المرابطين

وفي عصر المرابطين ظهر اعتناء زائد بالحديث تمشيا مع الروح الإصلاحية وخدمة للسنة النبوية، ونشرا للتعليم الإسلامية وغير ذلك مما قامت عليه دولتهم بتوجيه من مؤسسها عبد الله بن ياسين التمارتي الذي طبع رجالاتها بالطابع السني، وجعل منهم أبطال الجهاد، ورواة الحديث في آن واحد الشيء الذي جعل قادتها يعتنون برجال الحديث، ويجتمعون بهم ويتذاكرون معهم، ويروون عنهم ويستجيزون منهم، أمثال علي بن يوسف، وولده سير بن على وميمون بن ياسين وغيرهم من الأمراء والمولعين برواية الحديث، ويذكر المؤرخون أن ميمون بن ياسين المذكور رحل إلى المشرق طلبا للحديث فسمع بمكة من أبي عبد الله الطبري صحيح مسلم سنة 497 وسمع بها أيضا من أبي مكتوم بن أبي ذر الهروي صحيح البخاري، واشترى منه أصل نسخة أبيه أبي ذر التي سمعها من أبي إسحاق المستملي، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على ما طبع عليه رجال هذه الدولة الخيرة من ولع بالحديث، ورغبة أكيدة في الحصول على السند العالي، الأخذ من كبار المحدثين، والتصدي للتحديث أمام العلماء الكبار بالأندلس وغيرها[15].

14) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ص 74.

15) المقري : نفح الطيب ح 1 ص 374.

عصر الموحدين

أما في عصر الموحدين فقد وصل الاعتناء بالحديث قمته التزاما منهم بالبرامج العلمية والمناهج الثقافية والأخلاقية لمؤسس دولتهم وأمامهم الكبير المهدي بن تومرت المعروف ولعه بالحديث، والمشهور طوافه في البلاد المشرقية والأخذ من كبار المحدثين، وقد اقتدى به الأمراء من بعده مثل عبد المومن الذي اهتم بالحديث اهتماما كبيرا، وجمع لحفظه عددا من الطلبة، وأمرهم بالخصوص بحفظ تأليف المهدي المشهورة في الحديث، وكان يجتمع بهم كل يوم جمعة بعد الصلاة في قصره بحضور الحفاظ، فيتذاكر معهم في الحديث وكان إلى جانب هذا يدربهم على الرمي والسباحة، والركوب، ويكون منهم أطر الدولة، ويقدمهم على أشياخ المصامدة.

وكذلك ولده يوسف الذي له ضلع كبير في الحديث، وابنه يعقوب الحافظ والمامون المشهور باعتنائه الكبير بسرد كتبه في مجالسه وإبراهيم بن يوسف المشهود له بالتفوق فيه.

ويدل على اهتمام الموحدين بالحديث ما قاموا به من استدعاء الحفاظ والمحدثين بالأندلس، وتكليفهم بدراسته إلى جانب إخوانهم المحدثين المغاربة، وما أسسوه من مدارس علمية مطبوعة كلها بطابع الحديث من جملتها بيت الطلبة بمراكش الذي امتحن فيه كل من الحافظ أبي الخطاب ابن دحية[16]، والحافظ أبي عمر بن عات في صحيح مسلم[17] والذي يعتبر بحق دار الحديث[18].

ومن كتب الدراسة في الحديث وعلومه في عهد الموحدين الصحيحان وسنن أبي داود والترمذي، والنسائي، ومسند البزار الكبير، ومؤطا مالك ومؤطا ابن تومرت - أعز ما يطلب - وأحاديث الجهاد التي أمر يعقوب المنصور بجمعها، والشهاب للقضاعي، وسيرة ابن إسحاق بتهديب ابن هشام وذكر بعض المؤرخين أن طلبة

16) المنوني : العلوم والفنون في عهد الموحدين ص 21.

17) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج 1 ص 138.

18) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج 1 ص 119.

الحديث نالوا عند يعقوب المنصور ما لم ينالوه في عهد أبيه وجده من العناية والرعاية وكانوا يسمون بالحفاظ، وهم نحو ثلاثة آلاف من المصامدة، كأنهم أبناء ليلة واحدة، وأن يعقوب دعا الناس إلى الكتب الستة وغيرها من المصنفات الحديثة، على نحو الأحاديث التي سبق لإمامهم محمد بن تومرت أن جمعها في الطهارة، وإنه هو نفسه يملي هذا المجموع من الأحاديث على الناس في مجالسه العلمية، ويلزمهم بحفظه، ويكافئهم على ذلك، وكان لا يرى الاشتغال بأقوال الفقهاء يفيد المسلمين، فوجههم إلى الكتاب والسنة[19]. ويدل على ذلك ما رواه الحافظ أبو بكر بن الجد من أنه دخل يوما على يعقوب المنصور، وتذاكر معه في بعض الشؤون حتى أدى بها النقاش إلى أن قال المنصور : «يا أبا بكر، ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف، أو هذا، وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان عن يمينه أو السيف»[20].

وقد نتج عن هذا الاعتناء الموحدي بالحديث وما نادوا به من الاجتهاد والرجوع إلى الأصلين الكتاب والسنة، إن كثر الإقبال عليهما وظهرت أسماء لامعة، وأعلام شامخة في هذا الميدان مثل القاضي عياض الذي يعد في الطليعة بين المحدثين، وأبي الخطاب ابن دحية، وأخيه أبي عمرو، ومحمد بن قاسم التميمي المحدثين بالمشرق والمغرب، وابن القطان الذي كان من أعلم الناس بصناعة الحديث، وابن المالقي، وابن المواق، وابن عات وعبد الرحمان بن محمد المسناوي، وأبي عبد الله محمد بن طاهر الحسيني الصقلي، وأبي العباس العزفي، وغيرهم من الحفاظ الذين رفعوا راية الحديث، وأحسنوا إلى المسلمين في المشرق والمغرب بأعمالهم الخالصة، وتآليفهم الخالدة.[21].

---

19) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج 1 ص 119.

20) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 278.

21) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج 1 ص 138.

محمد بنشريفة : أبو المطرف أحمد بن عميرة ص 24.

عصر المريني والسعدي

وفي العصر المريني والسعدي استمر الاهتمام بالحديث، وظهر بمظهر آخر دل على ما أولاه ملوكها من عناية كبرى لهذا الفن ورجاله ولعل ما بذله كل من أبي الحسن وأبي عنان المريني من جهود في تشجيع العلم والعلماء، والاجتماع بهم في الحل والترحال، وما بنياه من المدارس وشيداه من الخزائن، وعقداه من المجالس العلميةو أحدثاه من الكراسي الحديثية في المساجد الكبرى، وحبساه من أوقاف على العلماء والمحدثين، يبرهن بكل وضوح على أن اهتمام ملوك المسلمين في المغرب بالحديث لا يختلف ولا يتخلف عن اهتمام إخوانهم ملوك المسلمين في المشرق في هذا المضمار، وإن مجهودات العلماء في المغرب هي جزء لا يتجزأ من مجهودات إخوانهم العلماء في المشرق، فالجميع يسير في خط واحد وإن بعدت الديار، هدف الجميع نشر الدين وتعاليمه السمحاء بين المسلمين، وأيقاظ الهمم نحو محاربة الأعداء، وبناء الدولة الإسلامية على تقوى من الله ورضوان.

وعلى هذا النمط سار الملوك السعديون في الاهتمام بالحديث ودراسته، وخاصة في عهد المنصور الذهبي الذي أضفى على دراسته الصبغة الرسمية وشارك في مجالسه واعتنى برجاله، واستجازهم في الداخل والخارج.

وقد ظهر في هذا العهد من المحدثين أعلام كبار مثل أبي القاسم عبد العزيز العبدوسي وعبد المهين الحضرمي، ومحمد بن عبد المالك المراكشي وابن رشيد الفهري والمقري الكبير، وابن الصبغ المكناسي ومحمد بن أحمد المواق، وابن مجراد السلوي، وابن منصور المغراوي وابن غازي المكناسي، وأبي محمد سقين العاصمي، والإمام القصار وأحمد بن يوسف الفهري الفاسي، والإمام المنجور وتلميذه أبي محمد عبد الله بن علي ابن طاهر الحسني وغيرهم من الذين رفعوا إسم هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي في ميدان الحديث وعلومه عاليا مغززا[22].

22) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج 1 ص 90 ـ 93 ـ 94.

الكراسي الحديثية

ويتجلى اعتناء هؤلاء الملوك بالحديث بكيفية خاصة في الكراسي الحديثية التي أنشأوها، وما أولوه أياها من الاعتبار كمناصب رسمية في الدولة، بحيث يسندها السلطان نفسه، أو خلفاؤه إلى من تتوفر فيه الشروط من المحدثين.

وقد انتشرت هذه الكراسي التي تعتبر بمثابة دور الحديث في جل المساجد الكبرى وخاصة مساجد فاس التي تعتبر المركز العلمي الأهم ففي جامع القرويين عدة كراسي للحديث مثل الكرسي المعروف بابن غازي، والذي تداول الدراسة عليه أفراد من علماء عائلة ابن سودة المحدثين، والكرسي الذي حبس على أبي الفضل ابن الحاج السلمي وعقبه، ومثل كرسي البخاري بشرح فتح الباري الذي أنشأه السلطان أحمد ابن الشيخ الوطاسي[23] وحبس عليه نسخة من الشرح المذكور منقولة من خط ابن حجر نفسه والذي درس عليه الإمام الكبير عبد الواحد الونشريسي رحمه الله، وهناك كرسي آخر مخصص لصحيح مسلم درس عليه أبو العباس المنجور بتوليه من محمد الشيخ بن المنصور السعدي، وغير ذلك من الكراسي التي تدل على العناية التي أولاها هؤلاء الملوك للحديث النبوي الشريف[24].

أما الطريقة المتبعة في تدريس الحديث على هذه الكراسي بالقرويين، فقد أطلعنا عليها ابن أبي محلي بقوله : «وأما علم الحديث فقد وقفت ليلة واحدة بجامع القرويين، والإمام المنجور رحمه الله يومئذ على كرسيه بين المغرب والعشاء في الشتاء يقرر في سند من أسانيد متونه، ويعرف برجاله، إما في مسلم وهو الواقع أو البخاري لصغر سني وقلة علمي سأعتئذ فما وعيت منه إلا صفة الاقراء، وكيفية ترتيب المقال والبحث في أحوال السند بمعرفة رجاله، علما ودينا وحفظا وبلدا وزمانا، غير ذلك مما يتعلق بالسند حتى تتحقق براءته من قوادح الريبة ثم يخوض بعدها فيما يخص

23) عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا ج 2 ص 128.

محمد العابد الفاسي : الخزانة العلمية بالمغرب ص 36.

24) إبراهيم الالغي : عناية الملوك المغاربة بالحديث، دعوة الحق العدد الخامس الصادر في ربيع الأول 1390.

المتن لفظا أولا، ومعنا ثانيا، وما فيه من الرويات، ومن يوافقه أو يخالفه، في أهل الصحاح على ذلك عموما أو خصوصا، ثم ياتي بما يعين على فهمه من غيرها كالحسان، وما قاربها من الأحاديث لتقييد أو تعميم أو جمع بين متعارضين، أو ترجيح أو تزييف، أو تبيين أو نسخ، مما يشهد لمذهب من المذاهب بأرجحية أو ضدها إلى غير ذلك من فوائد الفن بعد الأعراب واللغة واستنباط الأحكام[25].

الحديث في العهد العلوي

وفي العهد العلوي ظهرت ميزة أُخرى في الاعتناء بالحديث زيادة على الاهتمام العام الذي أولاه ملوكهم للحديث والمحدثين، وقد أدت هذه العناية بالمولى الرشيد إلى حضور المجالس الحديثية بنفسه ومشاركته العلماء الذين يجمعهم للبحث والمناقشة، كما أدت بالمولى اسماعيل إلى أن كون جيشاً من العبيد يحمل اسم «جيش البخاري» وكلفه بمهمة حراسة الدولة، والدفاع عن حوزة الوطن، والمحافظة على السنة النبوية. وحينما جمع قواده ورؤسائه أحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم : «أَنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله ﷺ، وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه، وعليه نقاتل». فعاهدوه على ذلك، وأمرهم بالاحتفاظ بتلك النسخة، وأن يحملوها حال ركوبهم، ويقدمونها أمام حروبهم، ويدافعوا عنها بكل ما لديهم من بطولة وإيمان، وقد بقيت تلك النسخة تحمل في الأَسفار والرحلات والمواكب السلطانية في تابوت مزين وعلى فرس مرموق اعتناء بالحديث، وتقديسه بين خدام الدولة، وتركيز احترامه في نفوس المواطنين.[26]

وزيادة على ما قاموا به من حض العلماء على مدارسة الحديث طيلة أَيام الستة من جهة، وما اعتادوه من حضور في بعض الدروس الحديثية العامة التي تلقى في جامع القرويين العامر من جهة ثانية، فقد نظموا مجالس حديثية أُخرى تلقى

25) ابن أبي محلى : الأصليت (نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 110).

26) آمنة اللوه : الملكة خناثة، صحراء المغرب العدد 4 ص 116.

فيها الدروس داخل القصور الملكية خلال الأشهر الثلاثة من كل سنة على طريقة خاصة، ونمط خاص، وجرى العمل بها في عهودهم الأولى.[27]

هذا ولا ننسى المواقف الجليلة، والاهتمام الكبير الذي أبداه عالم هذه الدولة ومحدثها سيدي محمد بن عبد الله الذي نظم بدوره مجالس الحديث واقتنى مختلف كتبه، واستجلب مسانيد الأئمة الثلاثة، وشجع حركة الحديث والتآليف، ونشر السنة بالبلاد، وقرب العلماء، وأمرهم أن يهتموا بنشر كتاب الله وتدريس صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم والمسانيد وغيرها من كتب الصحاح.[28]

وقد سار على نهجه كل من المولى سليمان والمولى عبد الرحمن والمولى محمد بن عبد الرحمن في اعتنائهم بالحديث وتشجيعهم رجاله، حتى ان هذا الأخير استعار نسخة البخاري المعروفة بالشيخة من خزانة القرويين وكلف أمهر الخطاطين بكتابة الجزء الأول الذي ينقصها، ثم جعلها في تابوت مزخرف يصحبها هو والمولى الحسن الأول في تنقلاتها اقتداء بجدهما المولى اسماعيل.[29]

وهكذا الشأن الاهتمام بالحديث في عهد كل من المولى الحسن والمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، فقد كانوا بدورهم يعقدون له المجالس ويستدعون لها العلماء والمحدثين، وكان عمل المولى الحسن مستقرا على ستة وثلاثين درسا خلال الأشهر الثلاثة من كل عام طيلة ملكه حضرا وسفرا، وقد نظم المولى عبد العزيز قراءة صحيح الإمام البخاري، والشفاء للقاضي عياض بالضريح الإدريسي شروق كل يوم معينا، لذلك عددا من العلماء الكبار، أما المولى عبد الحفيظ فكان يشارك بنفسه في

27) ابن زيدان : الاتحاف ج 3 ص 184.

28) ابن زيدان : الدرر الفاخرة ص 61 ـ الاتحاف ج 3 ص 184.

عبد الله الجراري : من أعلام الفكر المعاصر ج 1 ص 227.

29) إبراهيم الألغي : عناية الملوك المغاربة بالحديث (دعوة الحق العدد 6 الصادر في ربيع الأول 1390.

المناقشات التي تتخلل عادة تلك الدروس الحديثية التي تعقد بحضرته في مختلف المناسبات[30].

وفي عهد المولى يوسف وولده محمد الخامس استمرت المجالس الحديثية كالعادة إلا أنها اقتصرت على شهر رمضان، وتنتهي في ليلة السابع والعشرين منه[31].

وفي عهد الحسن الثاني نصره الله ازدادت العناية بالحديث، ونظم المجالس الحديثية في ليالي رمضان بعد صلاة العشاء، واستدعى لها العلماء من مختلف البلدان الإسلامية، وشارك بنفسه في إلقاء بعض الدروس الحديثية أمام كبار العلماء والمدعوين، كما نظم أحيانا دروسا حديثية أخرى في مختلف الأقاليم التي يزورها نصره الله.

ومن العلماء الذين كانوا يقررون الحديث في عهد سيدي محمد بن عبد الله أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي، والشيخ التاودي ابن سودة، كما كان يقرره في عهد المولى عبد الرحمن العلامة محمد بن الطاهر العلوي المدغري والتهامي ابن حماد المطيري المكناسي، وعبد القادر بن أحمد الكوهن.

أما في عهد ولده فكان يقرر الحديث في حضرته الشيخ المهدي ابن سودة كما كان يقرره شقيقه أحمد بن سودة في عهد كل من المولى الحسن الأول، والمولى عبد العزيز.

وفي عهد المولى عبد الحفيظ كان يقرره أبو العباس أحمد بن الخياط، كما كان بقرره في العهد اليوسفي المحدث الحافظ السلفي شيخ الجماعة أبو شعيب الدكالي والعلامة ابن القرشي رحم الله الجميع.

---

30) ابن زيدان : الدرر الفاخرة ص 116.
الملكي البطاوري : المجالس الحفيظية ص 2.

31) ابن زيدان : الدور الفاخرة ص 61.
ابن زيدان : الاتحاف ج 3 ص 185.

وفي العهد المحمدي كان يقرره المحدث الحافظ شيخنا الكبير سيدي المدني بن الحسني وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، والعلامة محمد السائح، وغيرهم من العلماء الأفذاذ.

وفي العهد الحسني تلقى الدروس الأملائية في الحديث، ويختار لها بعض المحدثين والعلماء من أقطار المغرب والمشرق، ومن شيوخ وطلبة دار الحديث الحسنية بالخصوص.